

## البوركييني: وجه جديد لصدام الحضارات مع المجتمع الفرنسي

2016-08-23 عبد الأمير رويح

لباس البحر الإسلامي البوركييني أصبح اليوم محور جدل كبير في الساحة السياسية والإعلامية في فرنسا التي تعيش فيها أكبر جالية مسلمة بأوروبا، بعد ان سعت بعض الجهات الرسمية وبتأييد حكومي، الى منع ارتداء البوركييني في الشواطئ بدواعي الحد من التوتر والحفاظ على القيم العلمانية الفرنسية، وكانت أول مدينة قررت منع البوركييني وكما نقلت بعض المصادر، هي مدينة كان بالجنوب الفرنسي، بعدما أعلن عمدتها أن أي زي ديني في الشواطئ العمومية يتنافى مع قيم العلمانية الفرنسية، وأن زي البوركييني يعدّ علامة على التشدد الإسلامي، وقالت البلدية في بيان لها إن الشرطة قامت بتغريم عدد من الحالات التي ضبطت بخرق هذا القانون.

ودافعت الحكومة عن قرار حظر ارتداء البوركييني، وصرّحت وزيرة حقوق النساء، لورنس روسينيول، لإذاعة أوروبا 1، أن البوركييني لديه معنى، وهذا المعنى هو إخفاء جسد المرأة وإنه ليس مجرد لباس، بل هو مشروع مجتمعي، مطالبة بالتصدي لهذا اللباس، وبتركيز النقاش حول تحرير المرأة وعدم استغلال الموضوع لأغراض سياسية أو لزيادة الضجة حول الإسلام بفرنسا.

وبدأ النقاش حول البوركييني في فرنسا، عندما ندّد نواب من حزب الجبهة الوطنية بحجز مسبح مفتوح للعموم لفائدة من يرتدين البوركييني مدة يوم كامل، وانتهى النقاش بإعلان مدير المسبح إلغاء هذا اليوم الذي دعت إليه جمعية "سمايل 3".

ونددت جمعيات إسلامية بهذا الحظر، ورفع ائتلاف مناهضة الإسلاموبوفويا شكوى لدى المحكمة الإدارية بمدينة نيس لإلغاء قرار عمدة مدينة كان، غير أن المحكمة قضت لصالح العمدة، مبررة ذلك بكون قرار العمدة لا يخالف المادة الأولى من الدستور الفرنسي التي تؤكد على علمانية الدولة. كما برّرت المحكمة أن الظروف التي تعيشها فرنسا في إطار حالة الطوارئ، والهجمات الإرهابية التي عانت منها فرنسا مؤخراً، قد "تؤوّل لباساً مثل البوركييني لما هو أبعد من مجرد لباس ديني". وقد قرّر الائتلاف الإسلامي رفع القضية أمام المحكمة العليا بباريس، تخوفاً من إمكانية أن يتطور هذا

القرار نحو منع ارتداء الأزياء الدينية في كل الفضاءات العمومية حسب تصريحات لمحاميته.

ومسألة البوركيني تتسم بحساسية خاصة في فرنسا نظرا إلى الهجمات الدامية التي نفذها متشددون إسلاميون ومنها تفجيرات وإطلاق نار في باريس قتل فيه 130 شخصا في نوفمبر تشرين الثاني الماضي مما سعد التوترات بين المسلمين وغير المسلمين وزاد من قلق الناس في الأماكن العامة. إلا أن رابطة حقوق الإنسان والتجمع لمكافحة كره الإسلام في فرنسا يعتبران أن حظر لباس البحر الإسلامي تمييزي ورفعوا شكاوى ضد هذا الإجراء. وقال محامي رابطة حقوق الإنسان باتريس سبينوزي أن هذا الحظر يعد "مساسا خطيرا غير شرعي للحريات الأساسية وحرية الرأي والعقيدة والتنقل واختيار الملابس".

وبحسب بعض المصادر فإن اليمين المتطرف، سيسعى إلى توظيف مثل هذه الأحداث وقضايا، من أجل الحصول على مكاسب سياسية وإعادة إحياء بعض التدابير التي ترمي إلى تضيق هامش الحركة للجمعيات الإسلامية واعتماد إجراءات تخص منع المحجبات في الإدارات والمؤسسات، وقد توسعت التدابير ما بين 2012 و2014، على أساس حظر الحجاب في الأجهزة الحكومية وفي المدارس التي تديرها الدولة.

وأيد فالس اقتراح المجلس الأعلى للاندماج في فرنسا، يقضي بحظر ارتداء الحجاب في الجامعات، إلا أن الرئيس هولاند رفضه. وقد حذر العديد من السياسيين من أن سلسلة الحظر التي تمس الجاليات المسلمة يمكن أن تثير التوتر بين الحكومة الاشتراكية التي تدافع عن مبدأ علمانية فرنسا، والجاليات المسلمة التي تشعر بأن مثل هذه القوانين تهدف إلى عزلهم ومعاقبتهم، وقد سبق لحكومة ساركوزي أن عاشت فصلا من فصول الصراع عبر ثورة الضواحي. وعمدت الحكومة الاشتراكية الفرنسية إلى تدعيم مرصد للعلمانية في أبريل الماضي، وطلبت من الهيئة آليات حول كيفية تطبيق القانون الصادر عام 1905، والذي يهدف إلى حماية المجال العام من الضغوط الدينية مع احترام حرية الدين، في منحى يرضي التيارات التي تدعو لتضييق هامش حركة الجمعيات ونشاط الجاليات المسلمة، والتركيز على ضرورة إدماجها في المجتمع الفرنسي بقواعده العلمانية.

من جانب آخر رأت صحيفة فاينانشال تايمز البريطانية أنه مع اقتراب انتخابات الرئاسة الفرنسية

ومع التأثير البالغ على فرنسا من سلسلة الهجمات التي شنها متطرفون إسلاميون، اغتتم الساسة من جميع التيارات السياسية فرصة قضية البوركييني للإعلان عن مبادئهم العلمانية الصارمة. وأشارت الصحيفة الى أنه على الرغم من ندرة ارتداء البوركييني، حتى بين الخمسة ملايين مسلم في فرنسا، أصبح الأمر قضية سياسية ساخنة هذا الصيف وأحدث ساحة قتال في النقاش الاندماج والعلمانية والهوية، لافتة الى أن الذين يعارضون البوركييني يرونه مناهضا لقيم العلمانية في فرنسا وتهديدا للأمن والنظام العام. ووضحت الصحيفة أنحظر البوركييني سيكون رسالة ضد استعباد المرأة وضد التطرف والإرهاب.

## دعم حكومي

في هذا الشأن عبر رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس في مقابلة مع صحيفة "لابروفانس" نشرت عن دعمه لرؤساء بلديات فرنسية حظروا لباس البحر الإسلامي "البوركييني" الذي يغطي كامل أنحاء الجسد. وحظر عدد من رؤساء البلديات في فرنسا في الفترة الأخيرة السباحة بـ"البوركييني"، ما أثار جدلا بين أنصار تطبيق العلمانية في الأماكن العامة والمدافعين عن حرية التعبير. وقرر رئيس بلدة سيسكو في كورسيكا، الجزيرة الفرنسية في البحر الأبيض المتوسط، منع "البوركييني"، بعد شجار عنيف بين شبان وعائلات من أصول مغاربية.

وقال فالس في المقابلة "أنا أتفهم رؤساء البلديات الذين يبحثون في هذه المرحلة المتوترة، عن حلول لتجنب اضطرابات في النظام العام". وتابع "أنا أؤيد أولئك الذين اتخذوا قرارا" بمنع لباس البحر الإسلامي "إذا كانوا مدفوعين برغبة في تشجيع عيش مشترك (لا مكان فيه) لدوافع سياسية خفية". واعتبر رئيس الحكومة الفرنسية أن "الشواطئ على غرار كل المساحات العامة يجب أن تكون" خالية من المظاهر الدينية، مشددا على أن الـ"بوركييني" هو "ترجمة لمشروع سياسي ضد المجتمع مبني خصوصا على استعباد المرأة".

وأضاف أن وراء الـ"بوركييني"، "هناك فكرة أن النساء فاسقات (...). وأنه يجب أن يكن مغطيات بالكامل. هذا لا يتوافق مع قيم فرنسا والجمهورية". وشدد على ضرورة "أن تدافع الجمهورية عن نفسها في مواجهة الاستفزازات". وحتى الآن، اتخذت سبع بلديات فرنسية قرارا بمنع الـ"بوركييني"

أو أعلنت عزمها على منعه. واعتبر فالس أن مسألة منع لباس البحر الإسلامي لا يتطلب تعديل التشريع الفرنسي القائم. ودعا من جهة أخرى السلطات إلى التنفيذ الصارم لقانون "حظر النقاب في الأماكن العامة". كذلك دعا المرجعيات الإسلامية في فرنسا إلى اتخاذ موقف في هذا الاتجاه، وقال إن على تلك المرجعيات أن تمنع أيضا النقاب وأن "تدين الأعمال الاستفزازية التي تمهد لمواجهة". بحسب فرانس برس.

وتوجه رئيس الوزراء الفرنسي إلى المواطنين الفرنسيين المسلمين، فقال إنه يعود إليهم "وإلى مرجعياتهم وعائلاتهم والتزامهم الشخصي والمهني والاجتماعي أن يقولوا إنهم يرفضون الرؤية" المسيئة للإسلام. وتمنع فرنسا منذ العام 2011 ارتداء النقاب والبرقع في الأماكن العامة، وتمنع أيضا منذ العام 2004 الموظفين الرسميين وتلاميذ المدارس العلمانية من وضع الرموز الدينية الواضحة. ويقول رؤساء البلديات الذين فرضوا الحظر إن هذا الزي الذي لا يظهر سوى الوجه والكفين والقدمين يخالف القوانين الفرنسية المتعلقة بالعلمانية.

وقال انج بيير فيفوني رئيس بلدية سيسكو على جزيرة كورسيكا في البحر المتوسط لشبكة تلفزيون بيا.فام إن البوركييني غير مقبول في بلده. وأضاف "الناس هنا يشعرون بالاستفزاز من أمور مثل هذه." وقال إنه لا يستهدف المسلمين لكنه يريد التخلص من المتعصبين على الجزيرة. وقال "هؤلاء الناس ليس لهم مكان هنا." ونفى فيفوني في تصريحات لإذاعة فرانس إينفو تقارير إعلامية عن أن مشاجرة نشبت على شاطئ سيسكو بدأها سائح يلتقط صور لمسلمات يسبحن مرتديات البوركييني.

وقال "المشاجرة لم تكن بسبب البوركييني. شبان كورسيكا كانوا يدافعون عن سائحين يلقطون صوراً بسلامية للمناظر الطبيعية." وقال إن حظر البوركييني -والكلمة مشتقة من كلمتي برقع وبيكييني - تهدف إلى حماية ذوى الأصول الشمال افريقية بقدر ما تحمي الجميع. وقال "سكان سيسكو يعيشون في خوف دائم. يوجد العديد من المحرضين هنا... نحن نعيش على برميل بارود."

## القضاء الفرنسي

من جانب اخر ووسط أجواء متوترة، بدأ القضاء الفرنسي محاكمة خمسة أشخاص في جزيرة

كورسيكا، جنوب فرنسا على خلفية أعمال العنف والصدامات الطائفية التي اندلعت بسبب لباس البحر الإسلامي البوركيني بعد تعدد الروايات حول حقيقة ما حدث ببلدية سيسكو بينما قال شهود عيان نقلت عنهم وكالة الأنباء الفرنسية أن الشجار وقع إثر قيام سياح بتصوير نساء مسلمات يرتدين هذا اللباس الذي يغطي جميع أنحاء الجسد والشعر كذلك.

وأُسفرت هذه المشاجرة عن خمس إصابات وأضرار في الممتلكات. وتم حشد مئة من عناصر الشرطة والدرك لعودة الهدوء. من الواضح أن وراء هذه الأحداث يقف أفراد من العائلة المغاربية" وأعلنت النيابة العامة في باستيا بشمال كورسيكا أن خمسة رجال وضعوا قيد الاحتجاز على خلفية تلك المشاجرة، هم اثنان من سكان قرية سيسكو، وثلاثة أشقاء من أصول مغاربية يعيشون قرب باستيا.

وقال نيكولا بيسون مدعي باستيا أن القرويين الاثنيين من قرية سيسكو اللذين أفرج عنهما سيحاكمان بتهمة ارتكاب أعمال عنف وسط تجمع من الأشخاص، فيما الأشقاء الثلاثة الذين أبقوا رهن الاحتجاز فسيحاكمون بتهمة ارتكاب عنف مسلح. وأضاف أن المشاجرة حصلت في 13 آب/أغسطس وتواجهت فيها عائلة من أصول مغاربية أتت من باستيا، مع سكان من بلدة سيسكو على شاطئ قريب من هذه البلدة.

وأردف بيسون "من الواضح أن وراء هذه الأحداث يقف أفراد من العائلة المغاربية" أرادوا "أن يخصصوا الشاطئ لأنفسهم". وأشار إلى أن هؤلاء الأفراد كثفوا استفزازاتهم إذ "ألقوا حجارة قرب أشخاص آخرين لترويعهم"، وأطلقوا "شتائم وتهديدات". وتضاعفت أعمال العنف والصدامات مع المسلمين في جزيرة كورسيكا في السنوات الأخيرة، حيث تم تخريب مصلى في كانون الأول/ديسمبر الماضي بعد هجوم استهدف عناصر الإطفاء اتهم شبان من أصول مغاربية بالضلع فيه. بحسب رويترز.

كما قرر رئيس البلدية إلغاء احتفالات ذكرى رقاد السيدة العذراء في 15 آب/أغسطس "ليس لأسباب أمنية لكن بسبب مزاج الناس". وتم فتح تحقيق حول العنف من أجل "تحديد أساس" وقائع ما حدث السبت وفقا للنيابة العامة في باستيا، شمال الجزيرة. وقد شارك نحو 500 شخص في باستيا في تجمع

وسط أجواء متوترة. وهتف هؤلاء "إلى السلاح، سنذهب إلى هناك فنحن في بلدنا"، وتوجه الحشد إلى لوبينو الشعبي والمختلط لكن الشرطة سدت مداخل الحي الواقع في ضاحية المدينة. وفي وقت سابق أقرت الجمعية الوطنية في كورسيكا قرارا يطلب من الدولة إغلاق أماكن عبادة الأصوليين المسلمين في هذه الجزيرة بعد ساعات من تهديد وجهته جماعة انفصالية إلى "الإسلاميين المتطرفين" من "رد حاسم" في حال وقوع اعتداء.

## إيطاليا وصور الراهبات

الى جانب ذلك اعلن وزير الداخلية الايطالي انجيلينو الفانو ان ايطاليا لن تحذو حذو بلدات فرنسية في حظر لباس البحر الاسلامي "البوركييني" على الشواطئ العامة لكنها تعتزم تنظيم عمل الائمة والمساجد. واعتبر الوزير في مقابلة مع صحيفة "كوريري ديلا سيرا" الايطالية ان القيود التي تفرضها فرنسا على النزول الى الشاطئ بلباس البحر الاسلامي غير بناءة لانها قد تؤدي الى نتائج عكسية.

وقال الفانو "من مسؤولية وزارة الداخلية ضمان الامن وان تقرر مدى قسوة الرد الذي بمطلق الاحوال يجب الا تنتج عنه استفزازات يمكن ان تؤدي لاحقا الى هجمات". واذاف ان "الدستور الايطالي يضمن لكل فرد حرية الديانة" وذلك في معرض حديثه عن مقاربتة "الليبرالية والبرغماتية". وردا على سؤال تحديدا حول قرار عدة بلدات ساحلية في فرنسا في الالونة الاخيرة حظر لباس البحر الاسلامي قال الفانو "لا يبدو لي ان النموذج الفرنسي حقق نجاحا".

وتابع الفانو الذي يعتزم طرح قانون امني جديد في ايلول/سبتمبر انه سيتخذ اجراءات من اجل تعزيز الرقابة على المساجد والتزام الائمة بالقوانين الايطالية. وقال الفانو انه اعتمد مقاربة "برغماتية" لانه هناك مليون ونصف مليون مسلم في ايطاليا ولا يمكنني بالطبع ان اعاملهم كراهبيين او مشجعين للارهاب" لكن متشدة ايضا "لانه هناك فارق بين الصلاة والتحريض على العنف". وكان الفانو قام بترحيل تسعة ائمة يشتبه في انهم كانوا يروجون للاسلام المتطرف منذ مطلع السنة الماضية.

علف صعبء مءصل اءار امام فلورنسا عزالءفن الزفر ءءلا بعء ان نشر علف ءسابه علف ففسبوك صورء لمءموءة من الراهباء علف شاطء البحر بلباسهن الءفنف وهن مءطفااء الراس؁ رءا علف ءمءلة ءء انءشار لباس البحر الاسلامف المءروف باسم البوركفنف. وفف اوء ءءل القاءم فف فرنسا ءول السماع او عءم السماع بارءءاء البوركفنف الءف وصل الف افاءفا؁ نشر امام فلورنسا من ءون ءعلفق صورء لءمانف راهباء وهن فلهون علف اءء الشواطف.

وتم ءشاطر الصورة اكءر من الفف مرء قبل ان فءبب موقء ففسبوك صفءة الامام اءر سلسلة من الاعءراضاء من قبل المءشركفن فف الموقء. واستءاء الامام الزفر صفءه بعء ساعات قليلة واوضء انه ارءء من نشر هءه الصورة بلا ءعلفق "الرء علف الءفن فقولون ان قفمنا الغربفة ءءءلف فف طرفقة اللباس وءمطففة ءءسء". وءابع الامام فف ءءفء مع شبكة ءءلفزون الافاءفة "سكاف ءف ءف ء4" "ارءء ان اقول ان بعض القفم الغربفة ءأءف من المسفءفة (...). وان ءءور المسفءفة ءعوء افضا الف اشءاص كانوا فمطون اءسادهم بشكل كامل ءقرففا". بءسب فرانس برس.

وءابع الامام الزفر الءف فءراس اءءاء الهفءاء الاسلامفة فف افاءفا انه ارءء افضا من نشر هءه الصورة الءفع باءءاه "ءءل افءابف"؁ موضحا انه ءلقى الكءفر من ءعلفقات المرحبة من قبل "الكءفر من المسفءفن". وبعء اءارة ءءل فف فرنسا ءول ارءءاء البوركفنف اعءبر وزفر الءاءلفة الافاءلف انه من ءفر المناسب لا بل من ءءورة منع البوركفنف لباس المسملاء المءءفناء الءف فمطف كامل ءءسء والرأس علف البحر.